

الأقسام في القرآن

(111) نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ (1) وقوله سبحانه: (وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ(2))، إلى غير ذلك من الآيات فلاحظ. وأمّا المراد من قوله: "لا " فقد سبق كلام المفسرين في توجيهه، وقد اخترنا أن نقوله: "لا " رد لكلام مسبوق أو مقدر، ثمّ يبتدأ بقوله أقسم. لقد أقسم سبحانه بشيء يخص البصر دون سائر الحواس، وقال: (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) هو أقسم بما نبصر وما أقله، وأقسم بما لا نبصر وما أكثره وأعظم خطره. أقسم الحقّ سبحانه هذا القسم العظيم بما له علاقة بالبصر ولم يُقسم بغيره مما هو محسوس، ذلك لأنّه رغم كونه يعطينا أوسع إحساس وأبعده وأسرع بما يحيط بنا فإنّه رغم ذلك لا يصلنا منه إلّا أقل القليل. هذا كلّهُ حول المقسم به، وأمّا المقسم عليه، فهو قوله: (إِنَّ زَنْهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، فالمقسم عليه مركب من أمور إيجابية أعني كونه : قول رسول كريم وإنّه تنزيل من ربّ العالمين ، وسلبية وهو أنّ القرآن ليس بقول شاعر ولا كاهن. إنّما الكلام في ما هو المراد من قوله: (رسول كريم) ، وقد ذكر هذا أيضاً في سورة التكويد، قال سبحانه: (إِنَّ زَنْهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَلْفِ فُوقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) (3) ولا شكّ أنّ المراد من _____

1 - التوبة: 74. 2 - التوبة: 105. 3 - التكويد: 19- 25.